حوليات آداب عين شمس (عدد خاص 2020)
http://www. aafu. journals. ekb. eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

خطاب الإعلام الوطني في الشعر الفلسطيني الحديث
(بدايات خطاب الإعلام الوطني في الشعر الفلسطيني الحديث حتى عام 1920)نموذجا

إيمان محمود ذيب فشافشه*

طالبة دكتوراه/جامعة عين شمس
Eman-fashafsha-2014@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2018/11/25
تاريخ قبول البحث: 2018/12/19
تاريخ النشر: 2020/06/30

المستخلص:

يمثل الخطاب الإعلامي في الشعر الفلسطيني أكثر ألوان الخطاب أهمية، وأوسعها دورانا ومساحة وانتشارا؛ لأنه يختزل الخطابات الأخرى كالخطاب الديني والسياسي والتاريخي والفكري والثقافي، وله قدرة على تمثل اللا شعور الجمعي، وبلورة الرؤية الجماعية، يتجاوز العاطفة الفردية إلى الروح الجمعية، ويواكب الأحداث ويسجلها ويعبر عنها بتواصل حميم بين المرسل/ الشاعر والمستقبل /المتلقي، إنه باختصار مفتاح الخطابات الأخرى؛ لارتباطه بالوطن أرضا وشعبا وقضية، وتماسه مع ما يمسه وما له علاقة به.

والحديث عن سلطة الخطاب الإعلامي في الشعر الفلسطيني ودوره وتأثيره في متلقيه، يعني الحديث عن الوطن ورموزه، والوعي بالذات إنسانا وزمانا ومكانا، والحفاظ على الهوية والسعي وراء الحرية ومقاومة الغزاة والطغاة، لارتباطه بالمتغيرات والأحداث التي عصفت بالوطن على مدار قرابة قرن من الزمان، وعلى امتداد رقعة شاسعة قد تشمل كوكب الأرض كله، حيث يتواجد الإنسان الفلسطيني.

كان الشعر الفلسطيني زمن الحكم العثماني شأنه شأن الشعر في بقية الأقطار العربية، مندمجا معه منصهرا في بوتقته، ولم يعرف مبلغ تأثيره في حياة الأمة كشعر فلسطيني مستقل حتى بداية القرن العشرين، وما أنتج من شعر كانت موضوعاته تقليدية، لا تحمل سمات فلسطينية، ولا تعكس مجتمعا فلسطينيا، ذا ملامح واضحة الانتماء، بل اعتبر رافدا وتابعا لما قبله، وتزامنت بدايات الخطاب الإعلامي في الشعر الفلسطيني مع أكبر حدث تاريخي أثر وما يزال في القضية الوطنية الفلسطينية، وهو صدور وعد بلفور في 2/تشرين الثاني/1917 بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، هذا الوعد ولد لدى الشعراء إحساسا بالخطر الذي يهدد وطنهم وكيانهم، ومما قوى هذا الإحساس قدوم الاحتلال البريطاني الذي ضمن تنفيذه.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2020.

سمات الخطاب الفلسطيني فترة الحكم العثماني:

بقيت فلسطين تحت الحكم العثماني، ما يقارب أربعة قرون، فلم تكن في الواقع كيانا مستقلا، أو شبه مستقل جغرافيا وسياسيا عن سائر الأقطار العربية المجاورة حتى الحرب العالمية الأولى.[1] لذا تميز الشعر بارتباطه الوثيق بالحياة الأدبية في الوطن العربي، وبخاصة مع الأقطار المجاورة مثل مصر وسوريا ولبنان والأردن.[2]

ولم تكن الظروف في تلك الحقبة تساعد على نهضة أدبية في فلسطين، فخلا القرن التاسع عشر من أي ضرب من ضروب التعليم الحكومي، وكانت المدارس، إما كتاتيب وقفية دينية، وإما مدارس ابتدائية قليلة العدد، ولم تنشأ مدارس إعدادية، إلا قرب زوال الحكم العثماني 1913.[3] ونتيجة لهذه الظروف، رقد الشعر فترة سبات طويلة، ليجد نفسه يئن تحت ثقل كابوس الحكم العثماني، فاتسم بالشمول، وانصهر في مفاهيم القومية العربية؛فالإطار الذي كان يجمع العرب والعثمانيين حينئذ الخلافة والرابطة الدينية،[4] لذا تميز الخطاب الشعري الفلسطيني بأغراض شعرية تقليدية وبخاصة دينية[5]، كان المسجد مركزا مهما من مراكز نشر العلوم، وكان التعليم يصدر في الغالب عن رجال الدين[6] لذا كان الشعراء الأوائل أكثرهم من الشيوخ، كالشاعر يوسف النبهاني واسكندر البيتجالي والشيخ إبراهيم الدباغ والشيخ علي الريماوي وعباس الخماس والشيخ أبو إقبال اليعقوبي والشيخ سعيد الكرمي[7].

أما الشيخ يوسف النبهاني، فنظم أبياتا شعرية في المديح النبوي، مبتدئا بجملة اسمية: "سيد الرسل قدره معلوم" للدلالة على ثبات أفضلية محمد –عليه الصلاة والسلام– عبر الزمان. ويساند هذا الثبات وقوع الجملة صدر البيت، مما أعطاها أهمية تؤهلها كي تصبح محورا مركزيا تدور حوله الدلالات الأخرى، وهذا ما يؤكده ذكره لأسماء الرسل "إدريس وموسى ونوح وإبراهيم"عليهم أفضل السلام بعده، قال[8]:

سيد الرسل قدره معلوم أين منه إدريس أين الكليم
أين نوح وأين إبراهيم كلهم عن مقامه مقطوم

وعلى الرغم من الأغراض الشعرية التقليدية ذات الصبغة الدينية، النابعة من الثقافة الأزهرية، إلا أن اتجاها جديدا لمع في أذهانهم نتيجة ما آلت إليه أحوال العرب، فالشيخ يوسف النبهاني[9] نحى منحا جديدا بعد زيارته للأستانة واطلاعه على حياة الناس عن قرب، مدركا كنه الصراع القائم، فبدأ التحول في خطابه الشعري من الشعر التقليدي إلى الشعر الخطابي التوعوي السياسي، واصفا حال العرب، ساعيا إلى إثارة الوعي العام بالاتكاء على الحركة داخل للصياغة، التي تلخص القضية العربية الراهنة، منقسمة بين حاضر العرب البائس وماضيهم المشرق، فقد أضحى الزنج وما يكنونه للعرب من عداء أكرم من العرب أنفسهم، ثم حاول الشاعر تقديم تعليل مقنع للمتلقي لتفسير هذا الواقع المرير، والذي أسنده إلى الغيرة التي اعتلت صدورهم؛ لأن الله حباهم بسيد الخلق –محمد عليه السلام–[10]:

ويممت دار الملك احسب إنها إلى اليوم لم تبرح إلى المجد سلما
فألفيتها قد أقفرت من كرامها ولم يبق فيها الفضل إلا توهما
وألفيت فيها أمة عربية يرى القوم منها أمة الزنج أكرما
وما نقموا مني بني العرب خلة سوى أن خير الخلق لم يك أعجما

كان لأوضاع العرب عامة في أثناء الحكم العثماني، أثر كبير في توجيه الخطاب الشعري، فانبرى مجموعة من شعراء فلسطين يشاركون شباب العرب في دفع الظلم والاستبداد، فلاقوا في سبيل ذلك العنت والمشقة، وصنوفا من العذاب والتشرد والسجن[11] فترصدهم السلاطين، أمثال جمال باشا الذي بالغ في تعقب أهلال الأدب، معتقلا من كان له عمل أو مقال أو خطاب وطني.[12] وأصدرت أحكام الإعدام بحق بعضهم، أمثال الشيخ سعيد الكرمي خلال الحرب العالمية الأولى، ثم أبدل به السجن المؤبد في سجن قلعة دمشق لشيخوخته[13].

نظم الشيخ سعيد الكرمي أبياتا عبر فيها عن تجربته/ الجمعية، التي شكل بها قناة عبور إلى ذهنية المتلقي، وشكل لوحة إسقاط للكشف عن مخبآته النفسية، بادئا موقفه الشعري باستعادة الماضي من خلال الأفعال الماضية، التي جاءت لترصد ألوان العذاب التي انزلها أعداء الإنسانية بالإنسان الفلسطيني "ظلموا، حكموا، كذبوا، عملوا، قتلوا، استباحوا. "وقد حرص الشاعر على استخدام الضمير المتصل الدال على الآخر الفاعل، لكن على الرغم من العذاب وقسوة المعاملة، إلا أن الشاعر يؤمن بحتمية انتصار الحق، وذلك من خلال انتهاجه أسلوبين الأول تكرار دال "ويلهم"والثاني استخدامه أسلوب القسم"والله فيما حكموا"و"والله فيما زعموا"، قال[14]:

ظلموا والله فيما حكموا
حين القوني بسجن ابدي
كذبوا والله فيما زعموا
ليس في العالم شيء سرمدي
ويلهم إذ أنهم ما علموا
إن مولاي غدا معتمدي
وتعجب الذي قد عملوا
من فعال ذكرها يبكي العباد
ويلهم كم من بريء قتلوا
واستباحوا نهب أموال العباد
وعن العدل بقصد عدلوا
وإذا هم كل يوم بازدياد

وهذه دلالة واضحة على خوف ذوي الشأن من تأثير الشعراء؛وبخاصة إذا نبع خطابهم الشعري من تجربة ذاتية كما في أبيات محمد أفندي صالح النابلسي التي اتسمت بوضوح معالمها وقوة نبرة التحدي فيها، والتي نظمها في سجن الأناضول[15]:

ما راعني أنني أغدو صريع أذى وسط السجون ومصلوبا على النصب
لم يلهني عن بني قومي وعن وطني وعد الطغاة وبذل المال والرتب
أن يقبض الحر أو يبقى فان له ذكرا يخلد في الأسفار والكتب

وقد عبر الشاعر في أبياته عن تضحيته في سبيل أمته ووطنه، فبنى خطابه على ضمير المتكلم الذي غدا بنية نسقية مهيمنة، حولت النص إلى رسالة رفض مفتوحة من الذات الشاعرة/الشعب الفلسطيني لكل الإغراءات والمناصب التي وعد بها، وانسجم هذا الرفض مع استخدمه للفعل المضارع "يلهني".

اتسم الخطاب الفلسطيني في بداية الحكم العثماني، بالتعالق مع ما سبقه من العصور، إلا أنه بدأ يتسم بصفات خاصة في أواخره وهذا ما أكده الشاعر أبو سلمى: "كان الشعر الفلسطيني في بدء الانتداب البريطاني، امتدادا للشعر الفلسطيني في أواخر زمن الدولة العثمانية، والشعراء الذين قاوموا السيطرة العثمانية، هم الذين قاوموا الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية، بأصوات شعرية تقليدية"[16]

بدايات الخطاب الإعلامي الفلسطيني :

تزامنت بدايات الخطاب الإعلامي في الشعر الفلسطيني مع صدور وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، فأعطى من لا يملك لمن لا يستحق على حد تعبير الرئيس جمال عبد الناصر، هذا الوعد ولد لدى الشعراء إحساسا بالخطر الذي يهدد وطنهم وكيانهم، ومما قوى هذا الإحساس قدوم الاحتلال البريطاني الذي ضمن تنفيذه.

إذ ذاك بدأ الخطاب الشعري الفلسطيني يلتصق بالواقع ويعبر عنه وبدأت تتبلور سماته في مطلع القرن العشرين نتيجة الأوضاع والمستجدات على الساحة الإسلامية التي فرضها الاستعمار، حين حط عليها بصورة لم ير مثلها قطر من الأقطار، فأخذت الحركة الشعرية تتجلى شيئا فشيئا، وتشكل الخطاب الشعري التعبوي رويدا رويدا، استجابة لأحداث كبرى أهمها:الأطماع الأجنبية متمثلة في المشروع الصهيوني الذي أخذ يتحقق للعيان، ونشوب الحرب العالمية الأولى، والثورة العربية الكبرى، ثم وعد بلفور 1917 الذي حول الصهيونية من خطر خفي محدود، وغير منظور بصورة شاملة، إلى خطر واقعي ملموس، وما ترتب عن ذلك منبداية الصدامات، في ثورة البراق عام1929، تلاها الإضراب الشامل 1935، ثم ثورة 1936، والاحتلال الصهيوني عام 1948 وإعلان قيام الدولة الصهيونية[17].

هذه هي الأحداث الكبرى التي هزت المجتمع الفلسطيني من الأعماق، وشكلت العوامل الحاسمة في بلورة خطابه الشعري، الذي عكس الانتماء الفلسطيني بعيدا عن الانتماء العثماني، متميزا عن الانتماء القومي العربي، متمثلا في خروج فلسطين من قيود الحكم العثماني الإقطاعي، ووقوعها في شباك الاستعمار الانجليزي، وصنيعه الاستعمار الصهيوني ومن ورائه الأمريكي، إذا لم تعرف فلسطين طعم الاستقرار السياسي حتى اليوم، إذ الأمر أكبر من مجرد احتلال أو غزو أجنبي، إنها قضية استعمار استيطاني قام على طرد سكان البلاد الأصليين بالقوة، وأحل مجموعات أخرى عنوة مكانهم[18].

انعكست هذه الأخطار على الأدب لتوجهه وجهة معينة، وتبلور خطابه الشعري التعبوي الإعلامي بوضوح، مبرزة القضية الفلسطينية، لذا توجه أبناء البلاد نحو نهضة أدبية وصحفية واكبت المستجدات على الساحة، ففتحت صفحاتها أمام أقلام الشعراء، وكان للصحافة دور فاعل في هذه النهضة، ولعل أبناء فلسطين كانوا أكثر الناس عناية بالتيارات الأدبية القادمة من البلاد الأخرى[19].

وتميز الشعر في هذه الفترة بالخصب وكثر عدد الشعراء، فلم يقتصر قوله على طبقة معينه بل قاله المحامون والأطباء والتجار ورجال السياسة والمدرسون والمجاهدون وغيرهم، ولمعت أسماء، منها: السكاكيني والنشاشيبي وإبراهيم طوقان والبستاني وأبو سلمى والدباغ وجميل البحيري والدكتور قيصر الخولي وعيسى لبندك والمحامي محمود الماضي ونعمة الصباغ والدكتور سليم سلامة وعبد الرحيم محمود وأبو إقبال اليعقوبي والبيتجالي ومطلق عبد الخالق وحسن البحيري.[20]

وبدأت تظهر الصحف للعيان مبكرا، مثل الدستور والمنهل والقدس والحرية والكرمل والنفائس، [21] وظهرت أيضا مجموعة من الجرائد، منها القدس الشريف والنفير العثماني والأحلام وبشير فلسطين والمنادي والطائر والإنصاف والنجاح ومنبه الأموات والاعتدال ولسان العرب ورقيب صهيون والجامعة العربية وإلى الأمام.[22] تدل كثرة الصحف والجرائد الصادرة في فلسطين على الأثر الكبير في المتلقي، وبخاصة كشف الحركة الصهيونية وأهدافها العنصرية التي تهدد الوجود العربي.[23]

وكما ازدهرت الصحافة داخل فلسطين، كان لأبنائها أيضا مشاركة خارج الوطن، فأصدر عصام بسيسو بالاشتراك مع أحمد عزت الأعظمي في الأستانة مجلة المنتدى الأدبي، واصدر المؤرخ عارف العارف جريدة هزلية اسمها "ناقة الله" في معتقل سيبيريا، واصدر الشيخ الشاعر إبراهيم الدباغ مجلة الإنسانية في القاهرة، واصدر الكاتب محمد علي الطاهر جريدة الشورى في القاهرة أيضا. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل شاركت الأقلام الفلسطينية في صحف البلاد المجاورة، مثل المشرق والجنان والهلال والمقتضب وغيرها، وأصدرت جريدة فلسطين نسخة انكليزية سنة 1929 توزع بلا مقابل على أعضاء البرلمان الانجليزي؛ لتوضيح القضية الفلسطينية، ونظرا لأهمية الصحافة في خدمة الوطن، عقد رجالها مؤتمرا صحفيا في حيفا لتأليف نقابة صحفية تجمعهم .[24]

لم يقتصر دور الشعراء على الصحف، بل اتسع ليشمل الإذاعة التي تعد من أهم وسائل التواصل، وعاملا فاعلا في إشاعة الأدب والتحذير من الأخطار المحدقة. ونظرا لدور المذياع الهام، كانت الحكومة الفلسطينية من أسبق الحكومات في تأسيس محطة إذاعة لاسلكية بدأت إرسالهاعام1936، وكان الشاعر إبراهيم طوقان من قام بإدارة البرامج العربية، لكن سارع الاحتلال إلى تضييق الخناق عليه، حتى انتهى الأمر به إلى الإقصاء بعد أربع سنوات من الصلابة والقوة في أداء مهمته الإعلامية الوطنية.[25] وكان الشعراء من أهم العاملين في الإذاعات الثورية على امتداد مسيرة النضال الفلسطيني مع غيرهم من الكوادر الوطنية أمثال، عبد البديع عراق و وزين العابدين الحسيني ومحمد حسيب القاضي ومريد البرغوثي، كمال ناصر، معين بسيسو، وصلاح الحسيني أبو الصادق.[26]

ونظرا للظروف غير المستقرة، والأحوال المتقلبة التي كانت تمر بها البلاد كان الخطاب الشعري يتقلب بين حالتي المد والجزر، حينا تعلو وتيرته وحينا تخف، لكن رغم هذا التأرجح بقي الخطاب الشعري إعلاما قويا عكس الأوضاع العربية الصعبة، فهذا إسعاف النشاشيبي من الشعراء الذين ندبوا ما وصلت إليه البلاد من التقهقر والانحطاط، بلغة بسيطة مسطحة دون عمق، وبأسلوب مباشر وعبارات تفيض أسى وحزنا تسودها نظرة سوداوية، استخدم التقابل المعنوي بين حالة العرب الحالية وبين ما يتمناه الشاعر، ليشكل هذا التقابل محور الصراع القائم بين حياة ذل وعجز

يعيشها العرب حقيقة، وبين حياة شريفة زاهية متمناة، داعما هذا التقابل بالمترادفات اللفظية: "بهيجا، زاهيا" فالمصطلحان يدلان على الحياة الرغيدة أما" البكاء والرثاء والموت والندبة" فمصطلحات تمثل ركيزة هامة تطلق على الميت/العربي في وقته الراهن، وهي الحقيقة المزرية للعرب التي سعى الشاعر إيصالها للمتلقي، بل وتحفيز المتلقي للتأثر بها يقول[27]:

العرب مات شعورهم فاندبه دهرك باكيا
قد كنت اطمع بأن أرى وطني بهيجا زاهيا
فوجدته من كل علم أو علاء خاليا
فرثيته وندبته وسكبت دمعي غاليا
فسعادتي يا ابن الكرام وبغيتي ومراميا
أن تصبح العرب الأذلة سادة ومواليا

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا إن أول خطاب شعري ذي ملامح فلسطينية مستقلة عن القومية العربية والإسلامية، ما قاله الأديب محمد إسعاف النشاشيبي، منطلقا من الإحساس بالخطر المحدق بفلسطين عندما أبصر لوحة على باب غرفة في سراي يافا كتب عليها الوكالة اليهودية، التي رأى فيها نواة للدولة الصهيونية، قال[28]:

يافتاة الحي جودي بالدماء بدل الدمع إذا رمت البكاء
فلقد ولت (فلسطين) ولم يبق يا آخت العلا غير دماء
نكبت أقدامها سبل الهدى فشرتها للعدى سر شراء
سوف تشكين وتبكين دما يوم لا يجدى ولا يغني البكاء
إنها أوطانكم فاستيقظوا لا تبيعوها لقوم دخلاء

استطاع النشاشيبي تحريك صياغة خطابه الشعري تحذيرا وتنبيها إلى ما ستؤول إليه البلاد، متكئا على أسلوب النداء الذي جاء بالصدارة، حيث تمثل أداة النداء "يا" حضورا خارجيا لدال غائب ذهنيا وهو "أدعو وأنادي"، مع استحضار المنادى "فتاة"على سطح الصياغة، وكان اختياره لكلمة "فتاة" عن وعي وقصد للدلالة على جدة القضية، وعندما تحرك مع الصياغة مال إلى اختيار الألفاظ الدالة على حجم المأساة التي تنتظر فلسطين. وبالنظر المتمعن إلى دلالة هذه الألفاظ نجد كلمة "نكبت"تمثل نواة الدلالة ونقطة التحول فيها، واختياره للألفاظ الأخرى في الصياغة جاءت لاحقة بها مترتبة عليها "البكاء، والشكوى، لا يغني، ولا يجدي " لتأكيد على تنبيه وإثارة المتلقي الفلسطيني للغد المأساوي المتوقع.

ركز الشاعر في خطابه على إبراز ما يجب على الفتاة فعله من بكاء، وبكاؤها ليس أي بكاء، فقد أبدل الدماء؛ للتضخيم من حجم الكارثة التي سيؤول إليها مصير الوطن، والذي سيراق دم أبنائه، وهدف الشاعر من إبراز هذا المحور المأساوي، نيل اهتمام المجتمع محليا وعربيا وعالميا معتمدا على لغة الحجاج لرفع مستوى إدراك الشعب الفلسطيني صاحب القضية.

وهكذا دخل الشعر ميدان المعركة وحمل رسالة واضحة المعالم جليلة الشأن، فأخذ يرسل بصره في أعماق القضايا ويكشف للناس موطئ قدمهم وينطلق معهم في كفاحهم فكان خطاب النشاشيبي إعلاما قويا منبها لما هو آت،[29] حيث صدقه التاريخ هذه المخاوف والإرهاصات وظهر أنه كان ثاقب البصر، لذا بقي شعره مخلدا على صفحات التاريخ، فأخذ الشعر بعد ذلك يعبر عن الموضوعات التي عصف بالقضية الفلسطينية وأهمها وعد بلفور فقد ارتبطت البدايات الفعلية للخطاب الإعلامي في الشعر الفلسطيني مع صدور وعد بلفور، بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، فأحس الشعراء بالخطر الذي يهدد وطنهم وكيانهم، ومما قوى هذا الإحساس قدوم الاحتلال البريطاني الذي ضمن تنفيذه،[30] واكب الشعراء هذا الوعد موجهين خطابهم إلى الجماهير، أمثال إبراهيم الدباغ، الشهيد عبد الرحيم محمود، وأبو سلمى، إبراهيم طوقان، كمال ناصر، محمد أحمد أبو غريبة وعبد البديع عراقي، ساعين إلى بيان جوهره، فقد أعطت بريطانيا على حد تعبير الرئيس جمال عبد الناصر:"وعد من لا يملك لمن لا يستحق"[31]، وبذلك لم تكن تسدل الستار عن أخر الحروب الصليبية، وإنما كانت ترفع الستار عن فصول جديدة لحروب صليبية أخرى.[32]

يؤكد إبراهيم الدباغ رفضه للوعد، من خلال التراتيب الحجاجية التي جسدتها الوظيفة الاقناعية لنصه الشعري، بالاتكاء على البرهان القاطع والحجة الدامغة، والتي انطلقت من مرجعيات مختلفة، أهمها الصور الفنية والتشبيهات واستلهام التاريخ الإسلامي، فقد شبه فلسطين بالصخرة الراسية، أما الصهاينة "الطغاة" فهم سيل عابر، عند استلهامه للتاريخ الذي يوضحه لفظ "الفاتحين" وما يشير إليه من علاقة قوية مع "عمر بن الخطاب وصلاح الدين الأيوبي"، واستخدامه كذلك للبعد الديني للتدليل على قدسية فلسطين التي رسخت في ذهن الأجيال، متمثلا هنا بجبل الطور ذي الدلالة المسيحية الإسلامية، وهذا يفضي إلى نتيجة حتمية أن لفلسطين أهلها، وليست ملكا لأحد، قال[33]:

هل ذبت يا صخرة الوادي المقدس في سيل الطغاة فذلت عزة الطور
هذي فلسطين بعد الفاتحين غدت خرافة أو مراحا للأساطير
هزت هياكلها ريح الطغاة ولا تزال وقفا على هوج الأعاصير
ليست فلسطين في البلاد عارية تهدى وتمنح بين العير والعير
وليس أبناؤها ملكا لمنتدب فوعد بلفور عنها وعد ممرور
تبيت رهنا على مال فوائده لغيرها وهي آلاف القناطير

وقال أبو سلمى مخاطبا الأمة، مهاجما سياسة الوعود والختل التي اتبعتها بريطانيا مع العرب، لاعنا كل أولئك الذين يخدعون أنفسهم ويخدعون الناس بهذه السياسة، مسجلا رفضه للوعد بأسلوب قوي، فقد بدأ خطابه بلفظ "سحقا" المشحون بالتوتر والانفعال ليتلاءم مع رفض الفلسطيني القاطع له، فشكل ركيزة محورية تتولد عنها الحركات الأخرى المتصلة بها، كالغضب على الانجليز أساس البلاء، والسخط على العرب الذين أذعنوا وأصبحوا أذلة تابعين، بعد أن كانوا فاتحين وسادة الأرض، وهنا يضع الشاعر المتلقي بين قطبي المأساة الفلسطينية، فلا يستطيع أن يتلقى أحداهما دون الآخر، لتعالقهما واندماجهما، فهما بمثابة السبب والمسبب، والعلة المعلول، فلم تكن بريطانيا تتجرأ على استلاب الأرض وإعطاء الوعد، إلا عندما أيقنت التخاذل العربي[34]:

سحقا لمن لا يعرفو ن سوى التعلل بالوعود
وأذلهم وعد اليهو د ولا اذل من اليهود
لن تطهر الدنيا وفيها الانجليزي على صعيد

وشكل هذا الوعد عند الشهيد عبد الرحيم محمود، بوابة الشاعر الخطابية لحث الشعب الفلسطيني على التصدي له، فحرص على استكناه تنامي أبنية الخطاب، وتموجات أنساقه، وتموضعات جمله وأساليبه، لتسهم في تشكيل رفضه، فلجأ إلى استخدام جمل إنشائية متمثلة بأسلوب الاستفهام الإنكاري "ما بلفور"و"ما وعده" الذي كرره أكثر من مرة، ولم يقتصر التكرار على أسلوب الاستفهام، وإنما كرر كلمة "بلفور" قاصدا تقوية رسالته الرافضة، وتصعيد الخطاب وربطه بالواقع، كما لجأ إلى أسلوب التوكيد، لبيان أن ضياع فلسطين نتج عن التخاذل العربي، "إنا بأيدينا جرحنا قلوبنا"، أي ربط السبب بالنتيجة، ليصبح مقنعا لمتلقيه، فقال[35]:

بلفور ما بلفور ما وعده لو لم يكن أفعالنا الإبرام
إنا بأيدينا جرحنا قلبنا وبنا إلينا جاءت الآلام

شكل وعد بلفور مركزا للاستقطاب الشعري، للتعبير عن المأساة الفلسطينية التي سلبت الأرض وشردت أبناءه، وسهلت هجرة أمواجا من الصهاينة، وأسست لرؤى تحريضة مقاومة لهذا الوعد.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة السريعة في بدايات الخطاب الفلسطيني تبين أن الانطلاقة الفعلية للخطاب الشعري الفلسطيني تزامنت مع وعد بلفور عام 1917 أكبر حدث تاريخي أثر وما زال يؤثر في القضية الفلسطينية، أما ما قيل قبل هذا التاريخ فكان شانه شان الخطاب العربي والإسلامي، إذ تناول موضوعات تقليدية لا تتسم بملامح فلسطينية خالصة على الرغم من الإرهاصات الأولى التي استشرفت ما ستنتهي إليه البلاد.

كما اتسم الخطاب الشعري الذي هاجم سياسة وعد بلفور بالغضب والرفض واختزل الشاعر القضية الفلسطينية بأسلوب اعتمد على الجدل وسيلة للتعليل والإقناع بالأحقية الفلسطينية؛ لإثباتها في ذهنية المتلقي "فالجدل إنما يقع في العلة من بين سائر الأشياء المسئول عنها"(36) وجاء خطاب الشاعر ثوريا ترجمه الشعب بمقاومة بريطانيا أساس الداء والمخططات الصهيوني الساعية إلى استلاب الأرض وطمس معالم الهوية الفلسطينية.

Abstract

The Beginning of the media speech In Palestinian poetry until 1920

By Iman Mahmoud Dheeb Fashafsha

The media speech in Palestinian poetry represents the most important speech, because other speeches are reduced like religious,political, historical, intellectual and cultural discourse.

His ability to represent a collective sense show of collective vision .Exceed individual passion to the collective spirit and keep abreast of events and record them and express them with intimate communication between the sender and the receiver . It is the key for other speeches, because of it's connected to the land people and the value.

The talking about authority of media speech in Palestinian poetry and its effect in the receiver is meaning the talking about country and its symbols, self-Consciousness in human, place and time, maintain identity, seek freedom and resist of invaders and tyrants because of its association with the variables and events that have plagued the homeland for nearly a century, and along a vast area that may include the entire planet where the Palestinian man lives.

The poetry of the Palestinian period of ottoman rule, like the poetry in the rest of the Arab countries, merged with him in his crucifixion, and did not know the amount of its impact in the life of the nation as independent Palestinian poetry until the beginning of the twentieth century, and the output of poetry was traditional subjects, And does not reflect a Palestinian society with a clear-cut character.

The beginning of the media discourse in Palestinian poetry coincided with the largest historical event in the Palestinian national cause, the Balfour Declaration of 2 November 1917 establishing a national homeland for the Jews in Palestine. This promise gave the poets a sense of danger threatening their homeland and their existence, which strengthened this sense of the arrival of the British occupation, which included its implementation.

الهوامش:

1- السوافيري، كامل:الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860-1960 ، دار المعارف، القاهرة، ب ت، ص17.وانظر محمود، حسني: شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، الوكالة العربية للتوزيع والنشر، الأردن، ج1 ، ص14/13، وانظر السوافيري، كامل:الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من سنة 1900 إلى سنة 1960 ، سجل العرب، مصر، 1985، ص30.

2- أبو بصير، صالح مسعود:جهاد شعب فلسطين خلال نص قرن، ص 19، وانظر ياغي، عبد الرحمن: حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، ص108

3- ناصر الدين الأسدي:الشعر الحديث في فلسطين والأردن، معهد الدراسات العربية، 1960، ص10-11.

4- محمود، حسني:شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ج1 ، ص8.

5- ياغي، عبد الرحمن:حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، ص127. وانظر السوافيري، كامل:الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من سنة 1900 إلى سنة 1960 ، ص39/38.
6- السوافيري، كامل:الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860-1960، ص34..
7- هارون هاشم رشيد:شعراء فلسطينيون ، مجلة الهلال، العدد 6، يونيه، 1974، ص 115. وانظر ياغي، عبد الرحمن:حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، ص126.وص 163.
8- النبهاني، يوسف بن إسماعيل: الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، الأدبية ، بيروت، 1310ه، انظر المقدمة.
9- ياغي، عبد الرحمن:حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، ص152.
10-ياغي، عبد الرحمن:حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، ص153.
11-محمود، حسني:شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ج1، ص19.
12-أبو بصير، صالح مسعود: جهاد شعب فلسطين في نصف قرن، ص 43/40، وانظر ياغي، عبد الرحمن:حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، ص193.وانظر السوافيري، كامل:الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860-1960، ص26.
13-مجلة الهلال ، يونيه، 1974 ، العدد 6، هارون هاشم رشيد:شعراء فلسطينيون ، ص115، وانظر السوافيري، كامل:الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860-1960 ، ص41، وانظر محمود، حسني:شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ج1، ص20.
14- مجلة الهلال ، يونيه، 1974 ، العدد 6، هارون هاشم رشيد:شعراء فلسطينيون ، ص116/115.
15-محمود، حسني:شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ج1 ، ص19-20.
16-خلف، علي حسن:أبو سلمى زيتونة فلسطين، منشورات الأسوار، عكا، ط1، ب ت، ص10/9.
17-الكيالي، عبد الوهاب: تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط10 ، 1990، ص9 ، وانظر السوافيري، كامل:الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860-1960، ص56/54.
18-محمود، حسني:شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في المنفى (1967/1948)، الوكالة العربية للتوزيع والنشر، الأردن، ج3، ب ت، ص12/10، وانظر السوافيري، كامل:الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860-1960، ص54.
19-السوافيري، كامل:الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860-1960، ص70، وانظر.ياغي، عبد الرحمن : حياة الأدب الفلسطيني من أول النهضة حتى النكبة ، ص108 .
20-كنفاني، غسان:الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، 1968/1948، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1963، ص10، وانظر ياغي، عبد الرحمن:حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، ص227.وانظرأبو بصير، صالح مسعود:جهاد شعب فلسطين خلال نص قرن، ص25.
21-محمود، حسني:شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في الانتداب، ج1، ص16، وانظر السوافيري، كامل:الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860-1960، ص33/32.وانظر السوافيري، كامل:الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من سنة 1900 إلى سنة 1960 ، ص 40.
22-ياغي، عبد الرحمن:حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، ص85-86.
23-مصطفى، خالد علي:الشعر الفلسطيني الحديث، ص
24- ياغي، عبد الرحمن:حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، ص89.
25-السوافيري، كامل:الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860-1960، ص72.وانظر ياغي، عبد الرحمن:حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، ص101. وانظر السوافيري، كامل:الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من سنة 1900 إلى سنة 1960 ، ص119.
26- مقابلة شخصية مع الحاج صالح والشاعر عبد البديع عراقي، إقليم فتح، 2018/6/7
27-محمود، حسني:شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ص19.
28- ياغي، عبد الرحمن:حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، ص167 .
29- شطاح، محمد و بوقرة، نعمان: تحليل الخطاب الأدبي والإعلامي بين النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب ، القاهرة، 2006 ، ص145.

30- ليلينتال، الفريد: ثمن إسرائيل، ترجمة حبيب نحولي وياسر هواري، كتاب الملايين، ط1، 1954، ص 19، وانظر مصطفى، خالد علي:الشعر الفلسطيني الحديث، ص 24.

31-أبو بصير، صالح مسعود:جهاد شعب فلسطين خلال نص قرن، ص69.

32-صنبر، الياس: فلسطين 1948 التغييب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 ، 1987، ص19/18. وانظر محمود، حسني:شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، ص101.

33-الدباغ، إبراهيم: ديوان الطليعة، من قصيدة صوت فلسطين، القاهرة ، ط2، 1937، ص 38/36.

34-أبو سلمى: ديوان لهيب القصيد ، دار الهاشمية، دمشق، ط1 ، 1961، ص68.

35- ديوان عبد الرحيم محمود ، مكتبة الدكتور وليد فحماوي، فلسطين، 1958 ، ص26.

36-أبو الحسن، إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب: البرهان في وجوه البيان، تحقيق خفني محمد شرف، 2007، ص222/221.

قائمة المصادر والمراجع:

(1)أبو بصير، صالح مسعود:جهاد شعب فلسطين خلال نص قرن، ط1، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، 1968.

(2)أبو الحسن، إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب: البرهان في وجوه البيان، تحقيق خفني محمد شرف، 2007.

(3)خلف، علي حسن:أبو سلمى زيتونة فلسطين، منشورات الأسوار، عكا، ط1، ب ت.

(4)الدباغ، إبراهيم: ديوان الطليعة، من قصيدة صوت فلسطين، القاهرة ، ط2، 1937.

(5)السوافيري، كامل:الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860-1960، دار المعارف، القاهرة، ب ت.

(6)السوافيري، كامل:الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من سنة 1900 إلى سنة 1960، سجل العرب، مصر، 1985.

(7)شطاح، محمد و بوقرة، نعمان: تحليل الخطاب الأدبي والإعلامي بين النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، 2006.

(8)صنبر، الياس: فلسطين 1948 التغييب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 ، 1987 .

(9)كنفاني، غسان:الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، 1968/1948، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1963.

(10)الكيالي، عبد الوهاب: تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط10 ، 1990

(11)محمود، عبد الرحيم: الديوان، مكتبة الدكتور وليد فحماوي، فلسطين، 1958 .

(12)ليلينتال، الفريد: ثمن إسرائيل، ترجمة حبيب نحولي وياسر هواري، كتاب الملايين، ط1، 1954.

(13)محمود، حسني:شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في عهد الانتداب، الوكالة العربية للتوزيع والنشر، الأردن، ج1 ، ب ت .

(14)محمود، حسني:شعر المقاومة الفلسطينية دوره وواقعه في المنفى (1967/1948)، الوكالة العربية للتوزيع والنشر، الأردن، ج3، ب ت.

(15)مصطفى، خالد علي:الشعر الفلسطيني الحديث، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1978

(16)مواسي، فاروق:الشعر الفلسطيني في الجليل والمثلث بعد سنة 1948، مجمع القاسمي للغة العربية، أكاديمة القاسمي، حيفا، 2017.

(17)مجلة الهلال، يونيه، 1974، العدد 6، هارون هاشم رشيد:شعراء فلسطينيون

(18)مقابلة شخصية مع الحاج صالح والشاعر عبد البديع عراقي، إقليم فتح، 2018/6/7

(19)ناصر الدين الأسدي:الشعر الحديث في فلسطين والأردن، معهد الدراسات العربية، 1960

(20)النبهاني، يوسف أبا إسماعيل:الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، المطبعة الأدبية، بيروت، 1340ه.

(21)ياغي، هاشم وآخرون:تاريخ الأدب العربي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، ط1، 2005.